٥ ـ شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وكان أبو العتاهية في عهد المهدي يلازم ابنه هارون ، وكان ابنه وولي عهده موسى الهادي يحسد على أبي العتاهية لملازمته أخاه ، فلما ولي الهادي بعد المهدي أراد أن يقصيه عن أخيه هارون فلم يطعه ، ثم أمره أن يخرج معه إلى الري فأبى ذلك ، ولكنه لم يلبث أن خافه وتهيب بطشه به ، وكانت الملوك في عهده لا تحتمل مثل هذا النوع من المخالفة ، والاعتداد بالكرامة النفسية ، والمحافظة على العهد في حالتي الأمن والخوف ، فقال يستعطفه :

ألا شافع عند الخليفة يشفع ... فيدفع عنا شر ما يُتَوَقَّعُ
وإني على عظم الرجاء لخائف ... كأني على رأسي الأسنة تشرع
يروِّعني موسى على غير عثرة ... ومالي أرى موسى من العفو أوسع
وما آمنٌ يمسي ويصبح عاثراً ... بعفو أمير المؤمنين يروَّع

وإنك لترى أبا العتاهية لا ينزل في هذا الاستعطاف إلى الاستخذاء والخنوع ، ونسيان الكرامة وعزة النفس ، فلا يقول في ذلك ما قال النابغة الذبياني قبله للنعمان بن المنذر :

فإن أك مظلوماً فعبد ظلمتَهُ ... وإن تك ذا عتبي فمثلك يُعتِب

بل يقول له هذا القول : (يروعني موسى على غير عثرة) ، فينصف نفسه في هذا الموقف الذي تجحد فيه النفوس ، ولا يرى حقا للهادي في ترويعه على غير ذنب جناه ، كما يرى النابغة للنعمان أن يظلمه لأنه عبده

وقد روى صاحب الأغاني بعد ذلك أنه ولد للهادي ولد في أول يوم ولي الخلافة ، فدخل أبو العتاهية فأنشده :

أكثر موسى غيظَ حساده ... وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد ... أصيدُ في تقطيع أجداده
فاكتست الأرض به بهجة ... واستبشر المُلْكُ بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحة ... علت بها ذروة أعواده
كأنني بعد قليل به ... بين مواليه وقواده
في محفلٍ تخفق راياته ... قد طبّق الأرض بأجناده

فأمر له الهادي بألف دينار ، وطيب كثير ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه

فإذا صحت هذه الرواية فلا بد أنه عاد فسخط عليه حين رآه لم ينقطع عن أخيه هارون ، وحين أمر أن يخرج معه إلى الري فأبى ذلك ، وبهذا تتفق هذه الرواية مع ما قبلها ، ولا تكون متنافية معها ، وإن كنا نستبعد أن يعني مثل أبي العتاهية بتهنئة الهادي بذلك المولود في ذلك اليوم ، ولا يعنى بتهنئته بهذا الملك الذي صار اليه فيه ، فلعل حادثة ذلك المولود كانت بعد يوم ولاية الهادي الملك ، وبعد رضاه عن أبي العتاهية

وقد عاد مع الهادي بعد رضاه عنه إلى مثل ما كان عليه في عهد المهدي ، واتصلت فيه مدائحه ، واتصلت من الهادي له صلاته وجوائزه . ومما مدحه به على مذهب أبي نواس في بدء المديح بذكر الخمر ووصف محاسنها :

لهفي على الزمن القصير ... بين الخورنق والسدير
إذ نحن في غرف الجنا ... ن نعوم في بحر السرور
في فتية ملكوا عِنا ... ن الدهر أمثال الصُّقُور
ما منهم إلا الجسو ... ر على الهوى غير الحصور
يتعاورون مُدامَةً ... صهباءَ من حلب العصير
عذراءَ رباها شعـ ... ـاع الشمس في حرّ الهجير
لم تَدْنُ من نار ولم ... يعلق بها وَضَرُ القُدور
ومُقَرْطَقٍ يمشي أما ... م القوم كالرشأ الغرير
بزجاجة تستخرج السـ ... ـر الدفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الدُّ ... رِّيِّ في كف المدير
تدع الكريم وليس يد ... ري ما قبيلٌ من دَبير
ومخصّراتٍ زرننا ... بعد الهدو من الخدور
ريّا روادفهن يا ... بسن الخواتم في الخصور
غُرُّ الوجوه محجبا ... ت قاصرات الطرف حور
متنعمات في النعيـ ... ـم مضمخات بالعَبير
يرفلن في حلل المحا ... سن والمجاسد والحرير
ما إن يرين الشمس إلا ... القرط من خلل الستور

وإلى أمين الله مم ... ربنا من الدهر العثور
وإليه أتعبنا المطا ... يا بالرّواح وبالبكور
صُمر الخدود كأنما ... جُنّحن أجنحة النسور
متسربلات بالظلا ... م على السهولة والوعور
حتى وصلن بنا إلى ... ربّ المدائن والقصور
مازال قبل فطامه ... فى بن مكتهل كبير

ثم انتهى عهد الهادى وحال أبى العتاهية معه مستقيمة كحاله مع المهدى ؛ فلما جاء عهد هارون الرشيد كان المظنون أن يكون حاله معه أكثر استقامة من حاله مع أبيه وأخيه ، لما سبق من ملازمته له ، وانقطاعه إليه انقطاعاً كان يحسده الهادى عليه ، ولكن حاله فى هذا العهد جاءت على خلاف ما كان يقدر لها . وهنا تضطرب الروايات عن أبى العتاهية بقدر اضطراب أمره ، وتغير حاله

روى صاحب الأغانى أنه لما مات الهادى قال الرشيد لأبى العتاهية : قل شعراً فى الغزل ، فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه وأمر إبرهيم الموصلى أن يغنى ، فقال : لا أغنى بعد موسى أبداً — وكان محسناً إليهما — فحبسه . فلما شخص إلى الرقة حفر لهما حفيرة واسعة وقطع بينهما بحائط ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرجا منه ، حتى تشمر أنت ، ويغنى هذا ، فصبرا على ذلك مدة حتى قال أبو العتاهية لابراهيم : إلى كم يا هذا نُلاَجُّ الخلفاء ؟ هلم أقل شعراً وتغنى فيه ، فقال أبو العتاهية :

بأبى من كان فى قلبى له ... مرة حبٌّ قليل فَسُرِقْ
يا بنى العباس فيكم ملك ... شُعّب الاحسان منه تفترق
إنما هارون خيرٌ كله ... مات كل الشر مذ يوم خلق

وغنى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم ، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب

وروى مرة ثانية عن محمد بن أبى العتاهية قال : كان أبى لا يفارق الرشيد فى سفر ولا حضر إلا فى طريق الحج ، وكان يجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم ، فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبى الصوف وتزهد ، وترك حضور المنادمة ، والقول فى الغزل وأمر الرشيد بحبسه ، فلم يزل يكتب إليه الشعر يستعطفه حتى كتب إليه :

وكلفتنى ما حلت بينى وبينه ... وقلت سأبنى ماتريد وما تهوى
فلو كان لى قلبان كلفت واحدا ... هواك وكلفت الخلىّ لما يهوى

وروى مرة ثالثة عن محمد بن أبى العتاهية قال : لبس أبو العتاهية كساء صوف ودُرّاعة ، وآلى على نفسه ألا يقول شعراً فى الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه فقال :

يا ابن عم النبى سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساء والدُّرّاعه
ورجعنا إلى الصناعة لما ... كان سخط الامام ترك الصناعه

فلم يزل الرشيد متوانياً فى إخراجه إلى أن قال :

أما والله إن الظلم لومُ ... وما زال المسىء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
لأمر ما تصرفت الليالى ... وأمر ما توليت النجوم
تموت غداً وأنت قريرُ عين ... من الغفلات فى لجج تموم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت ... ستخبرك العالم والرسوم
تروم الخلد فى دار المنايا ... وكم قد رام غيرك ما تروم
ألا يا أيها الملك المرجىّ ... ليه نواهض الدنيا تحوم
أقلنى زلة لم أجر منها ... إلى لوم وما مثلى ملوم
وخلّصنى تُخلّص يوم بعث ... إذا للناس بُرِّزَتِ الجحيم

وسنستوفى فيما يأتى ما بقى من هذه الروايات فى هذا الشأن الجديد الذى صار إليه مع الرشيد ، ونعمل على التوفيق بينها ، ونرد هذه الحال الجديدة فى أبى العتاهية إلى أسبابها الحقيقية ؟

عبد المتعال الصعيدى

مكتبة العرب

من أشهر المكاتب العصرية وأوسعها نطاقاً حاوية لما يحتاج اليه العالم والمتعلم والأديب والشاعر من كتب مطبوعة ومخطوطة لا سيما المصاحف الأثرية المخطوطة من مئات السنين ، كما ان المكتبة مستعدة لشراء الكتب على أنواعها من مطبوعة ومخطوطة بأثمان جيدة ، وللمكتبة قائمة كبيرة ترسلها لكل طالب مجاناً . وجميع المخابرات والمراسلات ترسل باسم الشيخ يوسف البستانى صاحب مكتبة العرب بشارع الفجالة نمرة ٤٧ بمصر